الأمانة العامة

كلمة

معالي السيد/ أحمد أبو الغيط

الأمين العام لجامعة الدول العربية

في

الجلسة الافتتاحية لمؤتمر

الحرية والمواطنة.. التنوع والتكامل

28 فبراير 2017

(القاهرة)

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور. أحمد الطيب

شيخ الأزهر الشريف

قداسة البابا/ تاوضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

غبطة البطريرك / بشارة الراعي

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للموارنة

سماحة الشيخ عبداللطيف دريان – مفتي الجمهورية اللبنانية

السيدات والسادة الحضور،،،

اسمحوا لي في البداية أن أتقدم بالشكر للأزهر الشريف وشيخه الجليل وإلي مجلس حُكماء المسلمين على توجيه الدعوة لي للمشاركة في هذا المحفل الهام.. وعلي الجهد الضخم الذي يبذله الأزهر الشريف تحت قيادة فضيلة الإمام الأكبر بهدف جسر هوة التواصل الضخمة التي صارت تتسم بها مجتمعاتنا اليوم..

إن الأرض التي يعيش عليها العربُ اليوم هي ذاتها التي شهدت بزوغ نور الوحي الرباني وتلقي رسالة السماء منذ آلاف السنين.. عاش الناسُ في ربوعها يجمعهم هذا الرباط الإلهي فحملوا الرسالة إلى الدنيا كلها، شرقاً وغرباً.. وكانوا سراجاً منيراً للعالمين.. وظلت هذه الأرضُ الطيبة حاملة لبذور الإيمان، حافظة لتُراث الأديان.. عاش فيها أبناء ابراهيم توحدهم كلمة المحبة والإخاء الإنساني.

لا أقول إن الأمور كانت دوماً وردية أو أن العلاقات بين أصحاب الديانات المختلفة كان طابعها الوئام على طول الخط.. فالدين هو كلمة ربانية يفهمها بشر.. ويعمل بها بشر.. والبشر بطبيعتهم مزيجٌ من الحِكمة والحماقة.. وكما شهدت أرضنا عهود التعايش والوئام،

فإنها لم تخلُ من رياح التعصب والكراهية.. وفي تجربتنا التاريخية خليطٌ من هذا وذاك.. هناك "العالم الأندلسي" الذي شهد ذروة التعايش والتسامح.. وهناك أيضاً "عالم الحروب الصليبية" وهو ذروة التعصب والانغلاق، على الأقل من جانب الغرب.. وتجربتنا التاريخية على هذه الأرض تجمع هذا كله في تجربة غنية قل أن يكون لها مثيل أو نظير في أي مكان.

ومن أسفٍ أننا نعيش في حقبةٍ من حقب التعصب.. بُلينا فيها بمن استخدموا كلمة الخالق سيفاً على رقاب الآمنين.. ومن انحرفوا عن كلامه عز وجل ليصيروا قتلة عنوانهم سفك الدم.. إنها حقبةٌ من حقب الانغلاق التي طالما بُليت بها المنطقة في عهود سابقة من تاريخها.

لقد شهد العالم العربي في السنوات الأخيرة ظاهرة مُثيرة للأسى وباعثة على الحزن الشديد، إذ تمكنت التيارات المُتطرفة من التمدد في المجال العام ولعب دور بالغ الخطورة في تشكيل الوعي والإدراك.. وكان من نتيجة ذلك أن تعرض مفهوما المواطنة والعيش المُشترك إلى التراجع والتآكل.

إن الدولة الوطنية المعاصرة هي دولة لكُل مواطنيها.. دولة تسمح أن تتعايش أديان وأعراق وطوائف مختلفة جنباً إلى جنب في ظل سيادة حكم القانون وبدون جور جماعة علي أخري.. لا فرق بين أغلبية وأقلية .. ولا تمييز بين دين ودين.. ذلك أن القانون دستور هذه الدولة والتسامح عمادها.

والحق أن التسامح الديني هو أحد المبادئ المؤسسة لدولة المواطنة.. والتسامح في المجتمعات ليس مجرد صفة محمودة أو فضيلة مطلوبة كما هو في البشر، وإنما هو منظومة كاملة .. فكرية وسياسية وقانونية .. هذه المنظومة تترسخ في ضمير المُجتمع حتى يتشربها أبناؤه وتُصبح جزءاً من وعيهم العام ... وتدخل في نسيج المؤسسات والهياكل ومناهج التعليم ووسائل الإعلام حتى تصير نهجاً ثابتاً وطبعاً مُستقراً...

السيدات والسادة

إن المواطنة تتأسس على التسامح..

والتسامح في أبسط معانيه هو القبول بالآخر المختلف كما هو لا كما نتصوره أو نريده أن يكون.. بحقه في الاختلاف.. وبحقوقه المتساوية في العيش.. وبشراكته الكاملة في الوطن.

وثقافة التسامح تُكتسب وتُمارس ولا يولد الناسُ بها..

ومن المحزن أن الأغلبية في بلادنا العربية تفترض أن لا حاجة بها لأن تعرف شيئاً عن الآخر المختلف عنها في الدين، الشريك لها في الوطن.. وهكذا ينشأ أبناؤنا متجاورين في السكن ومقاعد الدرس متباعدين كل البعد فيما يخص الروحانيات.. لا يعرف أصحاب دين عن الدين الآخر سوى أقل القليل.. وهذا هو أول طريق التطرف.

إن السلاح الأول للمتطرفين هو نشر روح البغضاء بين الأديان المختلفة.. إنهم يمارسون "فقه تكريه" الناس في بعضهم البعض... وما من شك في أن مهمتهم هذه تصير أسهل كثيراً إن كان أصحاب هذه

الديانات مُتباعدين حقاً في ثقافتهم وأفكارهم، لا يعرفون عن الأديان الأخرى سوى القشور...

مطلوبٌ من المنابر والقيادات الدينية أن تُمارس دوراً تنويرياً لكي لا ينشأ أبناؤنا في عوالم معزولة عن بعضهم البعض، فيصيروا أكثر عُرضة للأفكار المدسوسة والقيم المغلوطة والجراثيم الفكرية التي تُمزق نسيج المجتمعات وتهدم وحدتها وتماسكها... نتمني على المؤسسات الدينية أن تُربي النشأ على أن يعرف الآخر المختلف عنه أولاً، وأن يقبل بالاختلاف معه ثانياً، وأن يُقر بحقوقه المتساوية في العيش المُشترك ثالثاً.

السادة الحضور

من الظواهر المُقلقة في واقعنا العربي المُعاصر أن جماعات اليأس والظلام وأئمة فقه الكره والعُنف تمكنوا – وللأسف الشديد– من تخويف الناس وبث بذور الفتنة بينهم... فشاهدنا مسيحيي المشرق وهم يتعرضون لخطة ممنهجة تهدف لإفراغ بلادهم منهم وهم جزء لا يتجزأ من نسيجها.. إن اسهام المسيحيين في الحضارة العربية لا ينكره الا جاحد.. وجهودهم الوطنية في أوطانهم مُقدرة ومعتبرة... بل إن منهم من لعب دوراً رائداً في الدعوة والترويج للفكرة العربية ذاتها في النصف الأول من القرن العشرين.

إنني على اقتناع كامل بأن الشرق الأوسط يزدهر بالتنوع، ويموت ويذوي إذا فقدنا هذا التعدد... وإذا نظرنا حولنا في العالم سنجد أن المجتمعات الناجحة هي تلك التي تتعدد فيها المُعتقدات والثقافات،

لأنها بالضرورة أكثر غنىً بالأفكار المختلفة وتموج دوماً بتيارات مُتباينة.. وهو ما ينعكس بدوره على روح المجتمع، بل وعلى حركته العامة من اقتصاد وتجارة وسياسة... العصر الذي نعيشه هو عصر التعددية.. بعد أن ولى زمن الفكرة الواحدة والرأي الواحد.

السيدات والسادة..

علينا أن نسلك الطريق الصعب... طريق الحفاظ على التنوع والتعدد لا التفريط فيه والتنازل عنه.. أن نُدرب مجتمعاتنا على ثقافة التسامح والتنازلات المُتبادلة إعلاء لقيمة العيش المُشترك... علينا أن نُعزز الثقافة الوطنية الجامعة التي ينخرط الجميع في إطارها، فتصير عنواناً لانتماء كافة أبناء الوطن، ومناطاً أعلى لولائهم ومحبتهم..

ويقيني أن ما تشهده مُجتمعاتنا من ظواهر قبيحة لا تُعبر حقاً عن جوهرها الفذ ولا عن ثقافتها الأصيلة المتوارثة والتي أعطت للعالم كله نماذج مميزة في الازدهار الحضاري القائم على التعدد والتنوع واستيعاب الثقافات والأديان.

أتمنى كل النجاح لمؤتمركم الهام، وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والنفع.

شكراً لكم،